الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

https://t.me/Post_horizon.

اهداء التصوير: لشهداء غزة.

حقوق النسخ والتأليف © ٢٠١٩ **منشورات المتوسط - إيطاليا.**

جميع الحقوق محفوظة. لا يُسمح بنسخ أو استعمال أو إعادة إصدار أي جزء من هذا الكتاب سواء ورقياً أو إلكترونياً أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي من الناشر. ويجوز استخدامه لأغراض تعليمية أو لإصدار كتب موجهًة إلى ضعيفي البصر أو فاقديه شريطة إعلام الدار. تستثنى أيضاً الاقتباسات القصيرة المستخدمة في عرض الكتاب.

A'n Al-Dhahek Wal-Ghitarr Al-Burtuqali Wal-Harb *by* "Rajaa Ghanim"
Copyright © 2019 by **Almutawassit Books.**

المؤلف: رجاء غانم / عنوان الكتاب: عن الضحك والغيتار البرتقالي والحرب
الطبعة الأولى: ٢٠١٩ / طبعة خاصة بفلسطين: ٢٠١٩
تصميم الغلاف والإخراج الفني: الناصري

ISBN: 978-88-32201-22-2

منشورات المتوسط

ميلانو / إيطاليا / العنوان البريدي:
Alzaia Naviglio Pavese. 120/ 20142 Milano / Italia
العراق / بغداد / شارع المتنبي / محلة جديد حسن باشا / ص.ب 55204.
www.almutawassit.org / info@almutawassit.org

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عن الضّحكِ وفساتينِ الأمّهات

أُغمضُ عينَيّ

عَتْمَةٌ أيضًا

تُضافُ للعَتْمَةِ الراقدةِ على مَدِّ البصر

الفرقُ أنها عَتمتِي أنا، أمشي إليها بإرادتي

على عكسِ العَتْمَةِ المبصرَةِ، تأكلُني بأنيابٍ يومية

كنَّا صغارًا

نضحكُ كثيرًا

نغرفُ قَدْرَ ما نشتهي من جِرارِ الضحك

لا نشبع

لا تنضبُ الجِرار

كنَّا صغارًا

نضحكُ كثيرًا

في الزمانِ البعيدِ حين ارتدتْ أمَّهاتُنا فساتينَ تصلُ لفوقِ الرُّكبة

وأشعلنَ سجائرَ كينت طويل

في زمانٍ بعيد

كان الضحكُ ملءَ الجِرار

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سأعدُّ: واحدٌ اثنان ثلاثةٌ، وأقولُ أحبُّكَ

ستعدُّ أنتَ: واحدٌ اثنان ثلاثةٌ، وتُطلقُ الرصاصةَ نحوي

أشياءُ بسيطةٌ لم أقلْها لكَ

كمثلِ أنني أحبُّ أن أقولَ لكَ أشيائي البسيطة

لم يجمعْنا شيء

لا كتاباتُ شمبورسكا، ولا بكاءُ الأفلامِ الساذج، ولا الخوفُ من انتهاء الربيع،

ولا الحوارُ الدائرُ عن ارتفاعِ حرارةِ الأرض

ولكنْ، بشكلٍ ما أسَّسنا حياةً معًا. أهكذا تُسمَّى: حياة؟

فنلعب اللعبةَ إذًا حتَّى آخرَها

ننظرُ للعدمِ في عينِهِ، ونقولُ: أنتُ المنتصرُ الوحيد

كان حُبُّنا محظورًا

يشبهُ بلادَنا التي تمنعُ تجمُّع أكثرِ من عشرةِ أشخاصٍ في مكانٍ عامٍّ

نشبهُ بلادَنا وتُشبهُنا

البلادُ التي تخافُ التَّجمُّعاتِ هي ذاتُها التي تقبرُ الحُبَّ.

سيموتُ الجنرالُ، ويخلّفُ وراءَهُ عددًا لا بأسَ به من الأحفاد

وسيموتُ الجَدُ الفقيرُ مُخلّفًا عددًا جيِّدًا من الأحفادِ أيضًا .

وبهذه الأعدادِ الدسمةِ سنُكملُ إعطاءَ العدمِ اسمَهُ من جديد

سنموتُ بقدسيةٍ لنخلقَهُ كلّ يومٍ من جديد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الشَّجرةُ

أُجرِّدُكَ من ملابسكَ

كما أُقلِّمُ شجرةً منِ أغصانِها الزائدة

لتغدوَ أقلَّ حِملًا

وأخفَّ

وليكونَ ثمرُها القادمُ أكثرَ حلاوة.

لن يرضيَكَ هذا الحُبُّ ربَّما

لكنْ، ستتعلَّمُ مع الوقت أنه طريقتِي في حُبِّكَ

فأنا الكنعانيةُ ابنةُ الأرضِ وطينِها

لن أُحبَّكَ إلَّا بلغةِ الأرضِ وقاموسِها

تعالَ نتهجَّى: البذارُ والحصادُ والسمادُ والحرثُ والقطفُ والسقايةُ وتقليبُ التربةِ وتنفُّس الهواءِ وماءٌ كثيرٌ، ابعثْهُ، يا ربَّ العالمين

مَنْ قال إن الأرضَ بخيلة،

وإنّ السماءَ أكثرُ سخاءً؟!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أصابعي والغيتارُ البُرتقاليّ

سأخونُ ذاكرتي

وأُطلقُ العنانَ للخُرافات تمتَلكُني كعصفورٍ مهاجرٍ

سأخونُ الأصدقاءَ

فالسَّهلُ يُغرِيني لأشربَ من رُطوبتهِ

لا شيءَ يُدمي ذاكرتي

ولا همًّا يوميًّا يقتاتُني، كأني آخرُ الملكاتِ

سأخونُ أصابعي

فغيتاري البرتقاليُّ اللَّونِ قد شاخَ

وصارَ أثاثًا بيتيًّا بليدًا

حتَّى الألحانُ تهربُ منِّي

كَنَبِيٍّ أصابَهُ صَمَمٌ

أو تخلَّتْ عنهُ النُّبُوءةُ

سأخونُ قلمي وكُرَّاستي المُلوَّنة

فكلماتي لم تزرعْ ضوءًا في قلب

ولم تفتخ جناحَ فراشةٍ في هذا العالم

سأخونُ أمِّي

فلم تعدْ قلوبُ الأمَّهات نهرَ عسلٍ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولا دُموعُهنّ أيقونةَ إلهٍ طيِّب

سأخونُ أحلاميَ الصّغيرةَ

فقُصاصةُ الشِّعْر التي كتبتُها لكَ

وجدتْ مكانَها في حوضِ الحَمَّامِ

بِطاقةً خاسرةً لحُبِّ امرأةٍ أربعينيِّ الملامحِ

سأخونُ نَفْسي

فمنذُ أن كنتُ غيري لم أعُدْ أُجيدُ سوى

خيانةِ الذّات.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اشتعالُ الروحِ

لن تعرفي يومًا مَنْ هو.

آثارُ قَدَمَيْهِ على درجاتِ البيتِ الخلفيةِ. تعرفينَ أنه هنا، كان هنا، وسيكون هنا في كلِّ مرَّةٍ من جديد.

صوتُ أنفاسِهِ يسكنُ حجرتَكِ، ويُغرِقُ مخدَّتَكِ التي تسهرُ معكِ مُحملقةً في السقف. تلتفتين إلى بابِ الحمَّامِ المفتوحِ نصفَ فتحةٍ، وتراقبينهُ يتحرَّكُ هناك بين خزائنِكِ وكريماتكِ ومناشفِكِ المذهَّبةِ الأطرافِ. تُغريكِ فكرةُ أن يفركَ أسنانَهُ بفرشاةِ أسنانكِ. تُغريكِ لأنكِ تتوقين لمغامرةِ الحُبِّ، حُبِّهِ هو.

لن تُجْدِيَ معكِ هذه المحاولاتُ للهربِ كلُّها. كأن حريقًا اندلعَ في كلِّ زاويةٍ من زوايا بيتكِ، وكلَّما هربتِ من زاويةٍ، واجهتكِ أخرى أكثر اشتعالًا. زوايا روحكِ تزدادُ اشتعالًا. هل قُلتِ بيتكِ؟

يمرُّ هذا الرجلُ على حديقتِكِ، يتفقَّدُ نباتاتِكِ الطَّيِّبةَ كلَّها. يمسسُ الأرضَ باشتياقِ العارفِ. يأتي ليلًا، يأتي نهارًا، تراقبينَهُ من الشّبّاكِ، وبرفَّةِ جفنِ تقولين سيختفي، سأفتحُ عينَيّ الآن، وسيختفي كما اختفى الغولُ من غرفةِ الطُّفولةِ، وكما اختفت علبةُ ألوانِكِ القديمةِ في انفجارِ سيَّارةٍ مفخَّخةٍ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سيختفي. تنظرين، ترفِّين بجفونِكِ، تتحكَّمين بحركةِ هذَيْن الجفنَيْن البليدَيْن، أغلقِي بقوَّةٍ. رَكِّزِي سيختفي. تتطايرُ علبةُ الألوانِ، ويصيرُ الهواءُ أصفرَ أحمرَ بنفسجيًّا وحتَّى أبيضَ. وتظهرُ الغولةُ بلباسٍ جميلٍ، وقد صفَّفتْ شَعْرَها، وهذا الرجلُ يدورُ في الحديقةِ، يطمئنُّ ويبتسمُ، ينظر إليها عاليًا في شبَّاكِ تلصُّصِها السِّرِّيِّ. ويتوسَّدُ ظِلَّ شجرةِ الغاردينيا، وينام.

ينامُ ولسعُ النحلِ في عقلِها لا ينام. ينامُ مطمئنًّا أن هذا البيتَ بيتُهُ، وأن هذه السَّيِّدةَ الغامضةَ المتوتِّرةَ تخصُّهُ كذلك. وهي وحدَها لا تنام.

تشتعلُ النيرانُ في كلِّ ركنٍ الآن من البيت، الحمَّامِ، جواريرِ المكتبةِ، تأكلُ الفساتين والمُعلَّقاتِ المُطرَّزةَ، وتبدأُ بالانقضاضِ على أسطواناتِ الموسيقا كلِّها. هي تركضُ من ركنٍ إلى غرفةٍ، ومن غرفةٍ إلى درجٍ، ومن درجٍ نحوَ بابِ البيت. يتهاوى المنزلُ أمامَ لسعِ النارِ التي لم تتركْ أيَّ شيء.

تشمُّ هذه الرائحةَ، وتعرفُها جيِّدًا .. رائحةَ الخرابِ المَشويِّ .. يغيبُ كلُّ شيءٍ ورائحةُ تزكمُ أنفَها بقوَّةٍ قادمةً من حياةٍ سابقة.

في نسمةِ الصباحِ الباردةِ تلسعُكِ، تفتحين عينَيْكِ، لا أثرَ لبيتٍ ولا شجرٍ، حولَكِ حديقةٌ مرتَّبةٌ بترابٍ أحمرَ، وشجرةُ غاردينيا وحيدةٌ، نِمْتِ تحتَها طوالَ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ليل. رائحةٌ تخرجُ من يَدَيكِ، تميزين فيها رجلًا مَرَّ من هنا ممزوجةً برائحةٍ تميّزينها بخبرةٍ منذُ زمنٍ بعيد.

تعالَ نقلبُ معادلةَ الحُبِّ أحيانًا، فيغدو الحبيبُ أمًّا لحبيبته على عكسِ التَّوقُّعات.

الحبيبُ حضنٌ لا تتقنُهُ إلَّا روحُ أُمٍّ، ولو كان رجلًا.

لأحاديثِنا طعمُ نبيذٍ معتَّق، أميّزُ رجفةَ الصوتِ عندما يرقُّ بين يَدَيّ. أشربُ أنا، فيسكرُ صوتُكَ. يسكرُ صوتُكَ، ونفيضُ نهرَ نبيذٍ لا ينتهي.

أعرفُ بحَّتهُ هذا الصوت. وكيف يسافرُ من حزنٍ إلى حزنٍ، في كلِّ موسم

صوتُكَ يأتيني عصفورًا صغيرًا يرتجفُ من المطر.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عن اكتشافِ الأرضِ، وحقيقة أنّها مدوَّرة

الآن يتفتَّحُ جسدي بين يَدَيْكَ

غاباتٍ زرقاءَ وأنهارًا بنفسجيّة

وهذه الممرَّاتُ المعشوشبةُ اللزجةُ كلُّها كيف لم أعرفْها من قبلُ؟

أنتَ حبيبي

أبجديةٌ سائلةٌ تُركَتْ من زمنٍ عتيقٍ تتجدَّدُ الآن بين يَدَيْكَ

يداكَ الصغيرتان الكبيرتان دليلُ عِزقِ الفلَّاحِ فيكَ

تمرُّ يداكَ على نهدَيَّ، يتأوَّهُ العالم

ويسيلُ حليبُ الأمَّهات

وأسمعُ صراخَ ألفِ طفلٍ خرجوا للتَّوِّ من الرحم.

يداكَ هناك فوقَ بطني

حيثُ علاماتُ الأرضِ وجهاتُها الأربع

حيثُ دارَ كولومبس

وأحرقَ طارقُ السفنَ كلَّها

هناك الأرضُ المَشاعُ العَصِيَّة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حيثُ قبائلُ السّكّانِ المحلِّيّين تُردِّدُ أغاني الفجر

والندى يرقصُ ويُبلِّلُ كلَّ فكرة يمكنُ أن تخرجَ من رأسِ العالم.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رخصةُ قيادةٍ منتهيةُ الصلاحية

أكرهُ البكاءَ في أثناءِ قيادةِ السَّيّارة

تباغتُني الدموعُ، وتنهمرُ دون إذنٍ، وأنا

أفكّرُ في تعاطفِ الآخرين معي وأنا أبكي

نساءٌ وأطفالٌ ورجالٌ وعجائزُ وعمّالُ مَقَاهٍ
وماسحاتُ بلاطٍ في الأبراجِ العالية

سوف يُؤلمُهُم هذا المشهد

وقد يفقدون السيطرةَ في أثناءِ القيادة

وسيكونُ هناك الكثيرُ من حوادثِ السَّيْر

في كلِّ ليلةٍ، ولا يهمُّ أينَ

في الطريقِ السريعِ المؤدّي إلى القدس

أو في الطريقِ الفرعيِّ الضَّيِّقِ الصاعدِ إلى القرية

تتناثرُ الأشلاءُ هنا وهناك

أشلاءُ أجسادٍ مزَّقتْها الحوادث

حوادثُ الطُّرُقِ التي سبَّبتْها دموعي

دموعي التي انهمرت دون إذنٍ منّي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

برأسٍ واحدٍ واجهتُ العالم

الريحُ التي هبَّتْ عندَ الغروب

كانت وقحةً وغيرَ متوقَّعة

الريحُ التي حاولتُ أن أجدَ أصلًا لها

أبًا أو أمًّا أو أقارب

أتشاجرُ معهم، وآمرُهم أن يُؤدِّبوا فتاتَهم

أو يأخذوها بعيدًا

هبَّتْ في كلِّ مكانٍ حولي مسعورةً، ولم تمسّني

الريحُ

التي طيَّرت أوراقَ الحُبِّ كلَّها التي حفظتُها في الأدراج

وأخذتْ معها قطعةَ القماشِ الصغيرة

التي قصصتُها من قميصِكَ الأخير

من لقائِنا الأخير

من سريرِنا الأخير

ومن المقصلةِ التي بدأتْ تمشي ورائي من يومها

الريحُ الملعونة

تدخلُ تحتَ فساتينِ الشجر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تُطيِّرُ أوراقَ عَانَتِهَا

تُدغدغُها، فَأَنْهَرُهَا

أتلو التمائمَ حتَّى تختفيَ، حتَّى تروح

فتنسلّ بخفَّتها إلى كلِّ مكان

لا تلمسُنِي الريحُ، ولا تقتربُ منِّي

ولكنَّني كيفما استدرتُ أراها

أشمُّها

وأتلمَّسُ بخجلٍ آثارَ صَفْعَتِها على وجهي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ذاهبةٌ للمعركةِ

جنودٌ بوجوهٍ مُتعبةٍ وروائحِ عَرَقٍ وطينٍ وبارود

هذا البردُ الثّقيلُ لا يُخيفُني

وهذهِ المعركةُ الطّويلةُ التي لا تريدُ أن تنتهيَ

لا تعني لي الكثيرَ

كلُّ ما يَشغلُني هوَ أزهارُ الربيعِ

هل ستَخنُقُها بقايا البارودِ وجَلَافَةُ الجنودِ؟

لا أخافُ الموتَ

أعرفُ أنّكَ ستأتي لتُلملمَ أشلائي

ستكونُ قِطَعُ لحمي الطَّريِّ بينَ يَدَيْكَ

أخيرًا

لحمُ الجسدِ الذي طالما تمنَّى أن تمتدَّ يَدَاكَ إليهِ

وتَمسَّهُ ولو مرَّةً.

عن النُّبوَّةِ الهاربة

راعي أغنام سرحتُ

مع الأغنامِ والعنزاتِ الطَّيِّباتِ يدرجنَ فوقَ التَّلّ

تعلَّمتُ نطقَ الحروفِ كأنها حبَّاتُ مطر

ولم أتعلَّمْ كتابتَهَا أو نقشَها على حجر

كانت الحروفُ مَطَرِي، فتَحوَّلَ قلبي إلى حجرٍ منقوش

لم تكنْ لي حبيبةٌ، ففتياتُ المراعي كنَّ أكثرَ صلابةً منِّي

وكنتُ رقيقًا بما لا يدعُ مجالًا ولو صغيرًا

قناةً ولو ضيِّقةً لضربةِ الحُبِّ كي تقصفَني

فتى الأعشابِ البرِّيَّةِ وأَقْحُوَانِ الجبل

فتى التَّلصُّصِ في كُلِّ جُبٍّ وحفرة

أُوسِّدُ رأسي عشبَ السُّهُولِ، فأسمعُ ما تقولُهُ الريح

وأتركُها تحملُني حيثُ لم يصلْ بشر

وكنتُ رفيقَ الأرضِ الوحيدَ تلفظُني

وأقولُ لها أعيديني إلى رحمِكِ ولِدِيني من جديد

لم تكنْ لي حبيبة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لكنني كنتُ أراهنَّ دائمًا

يتعرَّينَ بدلالٍ، ويدخلنَ الماءَ خفيفات

من أعباءِ العائلةِ وتَرِكَةِ البيت

كانت رؤيتهنَّ تُشعِلُ عصفورًا وديعًا بين رِجْلَيّ

العيونُ مُغمضة

والرحلةُ مدوّخة

راعي أغنامٍ بلا ناي وبلا إشاراتِ نُبُوَّةٍ في الأفق

حتَّى النُّبُوَّةَ لها أنبياؤُها وأنا ظِلٌّ بشريٌّ يقطعُ الجبالَ كلّ يوم

لا يسأمُ صرَّةَ الوَحْدَةِ، يحملُها وحيدًا

دون ألم

دون شريك

حتَّى ولو كان كلبَ رعاة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

دمشق

أريدُ أن أبدأ معكَ كلَّ شيءٍ، فأخبركَ عن كعكِ العيدِ الذي احترقَ، وابنِ الجيرانِ الذي ترصَّدني في مدخلِ العمارةِ المُعتم، عن طابورِ الصباحِ في مدرسةِ اللّاجئين الفلسطينيِّيْن، وعن جدائلِ الفتياتِ التي لم تكنْ لي، وكنتُ أراقبُ تصفيفَها في كلِّ يوم.

سأُحدِّثُكَ عن رائحةِ صابونِ الغسيلِ في تلك الأيَّام، وعن البوظةِ الشَّاميَّةِ التي أعشقُها، وسأُحدِّثُكَ عن شادي بعَيْنَيْه البحريَّتَيْن، لأنه ما زالَ يزورُني في الأحلام، وعن سندويشةِ الفلافلِ في صباحٍ غائمٍ ونظرةٍ بعيدةٍ إلى السماء.

سنشمُّ معًا روائحَ الوردِ الجوريِّ التي كانَ يبيعُها رجلٌ بابتسامةٍ حنون، لم أشاهدْ أجملَ منها، وعن حَيْرتي أمامَ الوردِ أيّهُ الأجملُ والأكبرُ والأكثرُ ضوعًا؟

أريدُ أن ألقمكَ روائحَ طُفُولتي لقمةً لقمة

وأسكبَ في عينَيْكَ مشاهدَ تلك الأيَّام

لعلَّكَ تَشفَى من عَماكَ

وتراني

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

صديقتُنا الحربُ

نُصادِقُ الحربَ

حتَّى تسمحَ لنا بوداعِ مَنْ نُحبُّ

نُصادِقُها لنسرقَ رائحتَهُم قبلَ الدفن

أو لنخبرَهُم أننا أحببْناهم أكثرَ ممَّا كنَّا نعتقد

وأن الحربَ صديقتَنا قد أتتْ لتُعلِّمَنا قولَ المحبَّة.

نُصادِقُ الحربَ لأنها كريمة

تتركُنا نعدُّ الشايَ بين غارةٍ وأخرى

نقرأُ قصيدةَ حُبٍّ لنيرودا بين جنازةٍ وأخرى

وتتركُ لنا ربعَ ساعةٍ من النومِ الخفيف

الصافي

قبل أن تُرسلَ صواريخَها من جديدٍ، تبتلعُ بيوتَنا وكرَّاسات طُفُولتِنا

تُمرِّنُ جسدَنا على شَمِّ رائحةِ الموتِ، فنهربُ إلى الجهةِ الأخرى

نُصادِقُ الحربَ، بل ونُقدِّسُها

فهي أمُّنا الأولى منذُ الإقامةِ في الكهف

وهي بصمةُ الأصابع

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ونداءُ الريح

نُصادِقُ الحربَ لنعرفَ لونَ جِلْدِنا الحقيقيِّ وقد موَّهَتْهُ الحضارة

نُصادِقُها لنُصدِّقَ أننا بعدُ لم نزلْ نقفُ على عتبةِ التاريخِ الأولى

ونخافُ الدخول.

يدٌ صغيرةٌ تخرجُ من تحتِ الركام

يدٌ بيضاءُ يُلوِّثُها إسمنتُ البيتِ المنهار

يدٌ بيضاءُ تنفصلُ عن الجسد

صغيرةٌ، ولكنها كافيةٌ لاقتلاعِ الروحِ من البدن.

يدٌ تفتِّشُ عن ألعابِها، عن صحنِ الزعترِ، عن دفترِ الألوانِ، وعن جهازِ التَّحكُّمِ بالتلفزيونِ لتتفرَّج على بوباي

يدٌ سماويةٌ على الأرض

يدٌ أرضيةٌ تُحلِّقُ في السماء

يدٌ لبنتٍ صغيرةٍ تلطمُ ضميرَ العالمِ أمامَ الكاميراتِ، وتقولُ له:

سرقتَ عمري، أيُّها الوقح

يدٌ وُجدَتْ في المكانِ الخطأ، حيثُ البشرُ يُعدُّون مجرَّدَ أيدٍ وأرجلٍ وأمعاءٍ وعيونٍ ورؤوسٍ مقطوعةٍ،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كلُّها معروضةٌ برسمِ عدميةِ الوجودِ وهشاشتِه.

هل يكفي أن أُحبَّكَ في الحرب؟

تقولُ أمِّي إن الحُبَّ في الحربِ له نكهةٌ مختلفة

تغمزُ بعينِها وتستحي

فتطيرُ الفراشاتُ في الاتِّجاهاتِ كلِّها

يكفي أن أُقبِّلَكَ قبلةً واحدةً فقط

تحتَ ثقلِ القذيفة

أو أن ألمسَ أذنَكَ اليسرى، وأُدغدغَكَ، فيما يمضي الشرفاءُ في الجنازاتِ المهيبة

يكفي أن نمشيَ مشبوكي الأيدي بين خرابِ الحاراتِ والبيوتِ المهجرة

يكفي أن نُحبَّ في زمنِ الحرب

حتَّى نعودَ إلى النبعِ الأوَّلِ، ونشربَ

وننسى أننا سنكونُ القتلى على صدرِ الصفحةِ الأولى من جريدةِ الغد.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عن الصمتِ والجنازاتِ الجماعية

كل شيء صامت في هذه الغرفة

حافَّةُ الشّبّاكِ ومرايا الخزانة

المشبكُ الصغيرُ على الطاولةِ بجانبِ لمبةِ القراءة

القميصُ المُلقَى على الأرضِ أيضًا صامت

حتَّى لوعتي لا تقوى على الخروجِ من صدري

صامتة

لا تودُّ أن تتمرَّغَ على سجَّادةِ الغرفةِ الخضراء

كلابي أيضًا صامتة

كلابي التي عادةً ما يُثيرني نباحُها ويدفعُني نحوَ نوبةِ ضحك

غرفةُ المكتبِ صامتةٌ، وكذلك الأواني وصابونُ الحمَّامِ وابنُ الروميِّ معلَّقًا على الجدارِ

البيتُ كلُّه صامت

الكونُ كلُّه صامت

كأنّ الكائنات كلُّها تمشي في جنازةٍ جماعيةٍ لشخصٍ عزيزٍ علينا جميعًا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في غيابِكَ

قَصَصْتُ أظافري، وتهيَّأتُ لدروسِ الغيتار

أعزفُ موسيقا الموت

نوتةً بطيئةً

ولم يسمعْ موسيقاي غيرُ العصافيرِ على الشّبّاك

وجارُنا الذي ماتتْ زوجتُهُ في حادثِ سَيْرٍ

أستحمُّ كلّ صباح

أُدلِّلُ الجسدَ الميتَ بأنواعِ الكريمات

الجسدُ الميتُ أيضًا يحبُّ رائحةَ الكريمِ النَّفَّاذة

لا لمعةً في العيونِ بعدَكَ

ولكنَّ رائحتَكَ تسكنُ جسدها

الغابةُ شاردة

يبكي مقعدي الذي خصَّصتُهُ لك

مشنقتي التي أزورُها كلّ يوم

أتعجَّبُ من حَبلٍ يتدلَّى منها ولم أرَهُ من قبل

مشنقتي الملوَّنة

يتقشَّرُ جلدُ جسدي، ويُخبرني الطبيبُ أنه جفاف

لا يفهمُ الأطبّاءُ عادةً في علاماتِ الجسد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لكنهُ خمَّنَ أنه الجفاف

حلقي جافٌ

دموعي جافَّة

وكذلك الصرخةُ التي أُطلقُها في الليل

جافَّة

أرتِّبُ غرفتي، وأطردُ عنها أشباحَكَ

صوتُكَ وأصابعُكَ تلفُّ السجائرَ بهزلٍ

نظرتُكَ عندما تقتربُ منِّي لتتأكَّدَ أنني فتاتُكَ

وعندما أقتربُ لأتأكَّدَ أنكَ وهمي

ألمُّ الفساتين كلَّها التيْ أحببتُها، وأُحرقُها دفعةً واحدة

أُقيمُ مذبحةً للقماشِ الملوَّنِ والدانتيل

وللفستانِ ذاتِهِ بلونِ البوردو

يشتعلُ كرنفالُ روائح

وتبقى الأشباحُ تسكنُني

كيف أُرمِّمُ هذه الوحشةَ؟

قُمتُ بكلِّ ما يجبُ عملُهُ لطردِكَ من غرفتي

من جسدي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من مقعدي في الغابة

من الأُغنيَّاتِ التي تذبحُني بصمت

ولكنَّ رائحةَ جسدٍ محترق

مختلطةً بكريمِ الياسمين

وبقايا حريقِ لحمٍ وقماشٍ ودانتيل

تسكنُ أنفي

ولا تزولُ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أيُّ جزءٍ أنتَ من الحكايةِ؟

في كلِّ مرَّةٍ أردتُ أن أكونَ الأميرةَ الطَّيِّبةَ

خرجتْ ساحرةٌ شرِّيرةٌ منِّي

كلَّما أردتُ أن أُطعمَ العصافيرَ وأتحدَّثَ مع الغزلانِ الشاردةِ قربَ القصر

وَجدتُها تزعقُ

بشَعْرِها الأشعث

صرختُها الملأى بالأذى والحِجارةِ

أردتُ أن يكونَ لديَّ خدَّانِ من وردٍ

فوجدتُ أنيابًا تتطاولُ ويقطرُ منها دمٌ طازجٌ

كلَّما هممتُ بالمشي بخفَّةِ الأميرة

وجدتُ كفَّ ذئبٍ تخرجُ من تحتِ الفستانِ

كفًّا بمخالبَ تتطاولُ أمامي مع كلِّ خطوةٍ

في كلِّ مرَّةٍ أردتُ أن أكونَ الطَّيِّبةَ الوادعةَ المُحِبَّة

تلك التي يركضُ إليها الصّغارُ ضاحكين

خرجتِ الساحرةُ بعَيْنَيْن تلمعانِ

وضعتِ الصّغارَ في سلَّةٍ وألقتْهُم إلى النهرِ

أردتُ جانبًا واحدًا من الحكاية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولكنَّ الحكايةَ تختارُ شُخوصَها كما تُريد

في داخلي كنتُ الأميرةَ الطِّيِّبةَ

وكلُّ ما خرجَ من يدي

كان من فعلِ الساحرةِ الشرِّيرةِ

صوتُها الذي رافقَ زمنَ عرضِ الحكايةِ

كلَّه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

واجباتٌ بيتيّة

سأحفظُ ترانيمَ مريمَ وهي تُهدهِدُ المسيحَ في المهد

الترانيمَ التي تحفظُ العينَ وتجلو القلبَ

ترانيمَ أمٍّ لا تملكُ سوى لهفتِها وخوفِها على قطعةٍ طريَّةٍ من اللّحمِ خرجتْ من رحمِها.

أسافرُ مع نساءِ التيبت، وأُلقِّنُ قَدَمَيَّ درسًا في التهامِ الأرضِ عشبةً عشبة

وصخرةً صخرةً حتّى ترضى أمّي الأولى عنّي

الأرضُ التي عصيتُها أكثرَ من مرَّة

كبنتٍ عنيدةٍ تُصرُّ على شقِّ الطريق

أُغنّي مع بناتِ الباشتان، ويُحزنُني اللحنُ، وأبكي

أبكي فَرِحَةً بدموعي

بمائيَ الذي ينهمرُ من إيقاعِ أُغنيَّة

أعبرُ مع القرويّاتِ الإيطالياتِ في سان ريمو

إلى الجهةِ الأخرى من الجبل

هناك حيثُ الجبنُ المُملَّحُ وشجرةُ التوتِ الأحمر

حيثُ يتنفَّسُ البحرُ بكاملِ ملحِه

ويُدخِّنُ سيجارتَهُ الأخيرةَ لهذا اليوم.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مهمّةٌ مُضنيةٌ اسمُها البحثُ عن وطن

عليكَ أن تُصادِقَ العصافيرَ والطيورَ المُقيمةَ والمهاجرةَ كلَّها

تستيقظُ مع إيقاعِها في الفجرِ، وتُنصِتُ أكثر

لعلَّكَ تنجو

أن تتعلَّمَ كيف تدورُ في الشوارعِ كلِّها مع ماسحي الأحذية

تنادي على البضاعةِ عندَ كلِّ بسطةٍ

وتسترقُ بضعَ نظراتٍ على عجل

تُراقبُ بها خَفَرَ البناتِ العائداتِ من المدارس

عليكَ أن تحضرَ مواسمَ القطافِ كلَّها من القمحِ إلى الزيتونِ إلى الزعترِ والسُّمَّاقِ وكلّ ما تجودُ به هذه الأرضُ المتعَبة

أن تملأَ الجِرارَ تارةً بالماءِ، وتارةً بالنبيذ

لعلَّكَ تُموِّهُ اجتياحَ الذقونِ القادمةِ إليكَ من نافذةِ الجيران

من نشرةِ الأخبار

من انتصاراتِ الوَهمِ في تاريخِكَ

كي تبحثَ عن وطنٍ، عليكَ أن تعملَ في المهنِ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخاصَّةِ كلِّها بالدولِ الفقيرة

دبغِ الجلودِ، أكياسِ المعكرونةِ الرخيصةِ، السكاكرِ الفاسدةِ، تجديدِ فرشِ السَّيَّاراتِ، وكلِّ عملٍ كفيلٍ بجلبِ سلسلةٍ من الأمراضِ المستعصية

تقرُّحِ الذاكرة

ورقصةِ الموت

عندما يُفخِّخُون الوطنَ، أيَّةُ شجاعةٍ ستملكُها قدمان للمُضيِّ نحوَه؟

من أين لكَ بفزَّاعةٍ تُبعد معدةَ الجوعى، لينبتَ أوَّلُ القمح؟

هذا هو ثمنُ الوطنِ، يا عزيزي

وعليكَ أن تدفعَهُ كاملًا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لاجئةٌ وحبلُ غسيل

وَرِثتُ عن أمّي وَلَعَهَا بنَشْرِ الغسيل

في كلِّ يومٍ كنتُ أرتِّبُ خساراتي، أدعكُها بقوَّةٍ

أعصُرُها حتَّى النقطةِ الأخيرة

وأُعلِّقُها على حبالِ الغسيلِ

وَرِثتُ عن والدي وَلَعَهُ بأفلامِ الأبيضِ والأسود

ودموعَه الغزيرةَ أمامَ كلِّ أُغنيَّةِ حُبٍّ

أو أمامَ لفْظَتَي: مِصرَ وفِلسطين

أو عندَ تذَكُّرِ طابونِ جدَّتي في القريةِ المَمحيَّةِ عن خارطةِ البلادِ

أخذتُ عن جَدَّتي رِداءَها الواسع

الذي لفَّتْ بهِ كُتلَ اللَّحمِ الصغيرةِ في أثناءَ إبادةِ القريةِ

كبرياءَها أمامَ الحربِ

وحُنُوَّها على جوعِ اللَّاجئينَ الجُدد

أخذتُ حِصَّتي كاملةً من كَرْتِ المُؤنِ المُعدِّ لِلَّاجئينَ الفلسطينيِّين

صحنَ شوربةِ عَدسٍ مُقزِّز

آكلُهُ بامتنانٍ تامٍّ لوكالةِ الأونروا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولمؤسّسةِ الرَّبِ في السماءِ تُنظِّمُ لي طريقةَ عَيشي كلاجئةٍ

أخذتُ من الشّتاتِ كلَّ شيءٍ

صُورتي ووَجهي ورائحةَ جَسدي

فساتينيَ المُزركشةَ ومِبراةَ الأقلامِ

حُلمًا بوطنٍ واسعٍ، لا تَحُدُّهُ الأسلاكُ الشائكةُ

وقلقًا من صورةِ الرّئيسِ المُفدَّى مَطبوعةً على دفاترِ البلدِ الشقيقِ كلِّها

أخذتُ من الرّئيسِ المُفدَّى مَعنىً لكلمةِ مَجْزَرَة،

وصمتًا

وأشواكًا تنمو في حَلْقي، كي لا أتدخَّلَ في أمورِ البلدِ المُضيفِ

بَلدي

أخذتُ من دمشقَ كلَّ شيءٍ

وتركتُ هناكَ كلَّ شيءٍ

دموعَ أبي وغسيلَ أمّي الذي لا ينتهي

وقوفَ جَدَّتي أمامَ الخَيمةِ وآلافَ الرّؤوسِ التّي دَحرجَها الرّئيسُ المُفدَّى، كي لا يُصابَ بالأرقِ

تركتُ في دمشقَ صُندوقَ حُبِّي مُقفلًا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقُصاصاتِ شِعْرٍ كَتبتُها للرّجلِ النّحيلِ

تركتُ نَفْسي وأنفاسي

وبدأتُ رحلةَ اللُّجوءِ الجديدِ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الجُثَّةُ

مع الندى الأوَّلِ للفجر

يخلَعونَ بابَ شَقَّتِها، ويَجِدونَها باردةً

مَرميَّةً على الأرضِ

قُصَاصَةُ ورقٍ على رفِّ المطبخِ، كَتبتْ فيها:

لم يَهجرْني حبيبي، ولم تتخلَّ أمّي عنّي

حَضَنتني الطُرُقاتُ، والأغاني كانت تُرنِّمُ لي

لم أسعلْ مرَّةً واحدةً في حياتي

ولم أُهِلِ التُرابَ على أحبَّاءَ لي

لم يُبكِني المطرُ، ولا نشرةُ الأخبارِ المسائيَةِ

لم أفزعْ لموتِ الطُيُورِ المُهاجِرةِ

ولا لغليانِ الأرضِ وهيَ تَخرجُ من جِلْدِها

حتَّى صورةُ الطِفلِ السُوريِّ إيلان نائمًا على الشَّطِّ

لم تُقلِقْ مَنامي، ولو لليلةٍ

كلُّ قَسوةِ العالمِ لم تقتربْ منّي

ولكنني لم أستطعْ احتمالَ الآلافِ الذينَ يركضونَ في دَمي

يتكلَّمونَ ويثرثرونَ، ولا افهمُ لُغَتَهم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كانَ ضَجيجُهُم أكبرَ من جَسدي، فنِمتُ.

كنتُ أعلمُ أن الموتَ قريبٌ جدًّا

كانَ عليهِ فقط أن يَعبُرَ السَّهلَ بيننا

يَجتنبَ الزّهرَ البرِّيَّ الطّافحَ في الربيعِ

والأسئلةَ المُتناثرةَ كألغامٍ تنتظرُ الفرصةَ لتَرقُصَ

ويصلَ إليَّ

في ظهيرةٍ كسولةٍ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مَالِك؟

يحدثُ أحيانًا أن أدَّعيَ المرضَ، لأسمعَ كلمةً سِحريّةً تخرجُ من بينِ شَفَتَيكَ: مَالِك؟

أربعةُ حُروفٍ شَقيّةٍ تُخرِجُكَ عن تعاليمِ القَريةِ المُتجهِّمةِ

حيثُ قيلَ لكَ ألفَ مرَّةٍ: كُنْ رَجُلًا، ولا تَضعُفْ أمامَ امرأةٍ.

أربعةُ حروفٍ تقولُ كمْ أبدو بلهاءَ ونزِقةً وأنا أُحدِّقُ في وَجهكَ يأتيني مُشوَّشًا.

أربعةُ حروفٍ عربيّةٍ نقيّةٍ، تَستلُّ سُيوفَها الآنَ، وتطعنُني المرَّةَ بعدَ المرَّةِ وأنا أهوي بخفَّةِ ريشةٍ على الأرضِ.

تختصرُ ملامحَ الحياةِ كلَّها هذي الحروفُ الأربعةُ، الأرضُ بالماء، الوردةُ بالعطر، الطلقةُ والدم.

أربعةُ حروفٍ معلَّقةٌ على رقبتي، خِلتُها عِقْدًا، وكانت مِشنقةً.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

صَوتُكَ

لم يكن صوتًا

كان حقولَ شقائقِ نعمان، وأصواتَ باعةٍ متجوِّلين، وطعمَ العسل بعد حمَّام أيَّام الطُّفُولة

لم يكن صوتًا، بل كان عربةً كازٍ تمرُّ بين أزقَّةِ المخيَّم

وبمجرَّدِ مُرورِها تُشعِلُ نارًا في الجسد

كان شجرةً وزينةً في ليلةِ الميلاد

داليدا في أيَّامِ الشَّغَبِ المُراهقة

طَرَقَاتُ أصابعِ أمِّي وهي تنتظرُ أن ينضجَ اللحمُ في القِدر

يدُها على الشّبّاك

عناقُ بخارِ الطبخِ وزجاجُ الشّبّاك

ووجهُ أمِّي الجانبيُّ وكأنها تبكي

أو تموت

صوتُكَ

جسرٌ ضيِّقٌ بين جَبَلَيْن في أعالي البيرو

متهالكٌ، لكنه جسرٌ على أيِّ حال

حناجرُ عصافير، لم تعد تُزقزق

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

جمرةُ حزنٍ تتوهَّج كلَّما عَلَتْ أُغنيَّةٌ وطنيّة

ولماذا يُبكيني صوتُكَ؟

لأنه يعيدُني إلى دُمى طُفُولتي التي تُركَتْ وحدَها في بيتٍ بعيد

لم يلتفتْ أبي إليها، وأهملتْها يدُ الأُمِّ وهي تعدُّ ملابسَ الأولادِ للرحيلِ الجديد

صوتُكَ يعيدُ إليَّ هذا الدفء

دفءَ دُمى مَنسيَّةٍ في بيتٍ بعيد.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عن الجَدّة، وليلِ باريس

لا تعبثْ بوردِها الحريري

ولا تغرَّكَ ابتسامتُها العذبةُ، كأنها خارجةٌ من لوحةِ القدِّيسةِ مريم

لا تلتفتْ إلى حركاتِها البطيئة، نادلةٌ أصابَها الملَلُ من طاولاتِ البارِ كلِّها

لا تلتفتْ إلى بشرتِها الناعمةِ وخصرِها الدقيقِ، ولا إلى انفراجِ شَفَتَيْها بغمغماتٍ قليلة

في غرفتِها الواقعةِ في الطابقِ الأخيرِ من العمارةِ المتهالكةِ رَقْم ٢٧٤

في الحَيِّ اللَّاتينيِّ في باريس

هناك ستُحوِّلُكَ هذه القدِّيسةُ إلى لعنةٍ من نار

تخلعُ جِلْدَها، فتهبُّ روائحُ بحرٍ وأصداف

تخرجُ قافلةٌ من الغجرِ بآلاتِهم الموسيقيةِ، وملابسِهم المزركشةِ، ويبدأُ الرقص

ترقصُ فوقَ دمِكَ، وتُحوِّلُهُ لعسلٍ بلونِ الذهب

كقضمةِ عشبةٍ برِّيَّةٍ تأكلُكَ قطعةً قطعة

جسدُكَ يتحوَّلُ لحلبةِ رقصِها المدوِّخِ، ولعنتِها التي لا تستكين

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تملكُها وتعرفُها

لكنها تفلتُ منكَ

هناك في الغرفةِ الضَّيِّقةِ المُعتمة

تنشبُ مخالبَها فيكَ

صحاري وغاباتٍ وأعشابٍ استوائية

ولن يُوقفَها تألُّمُكَ

أو دموعُكَ

أو استجداؤُكَ

فهي قد أخذتْ على نفسِها وعدًا منذُ أن شاهدتْكَ أوَّلَ مرَّة

أن تُعلِّمَكَ قواعدَ الحُبِّ

القواعدَ التي تعلَّمتهَا من جدَّتِها الذئبة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

دَثِّرِيْني

أعرفُ كم أتعبتْكَ المرافئُ الباردةُ، يا حبيبي

أعرفُ كم رماكَ المارَّةُ بحجارة

أدْمَتْ جبينَكَ وباطنَ قَدَمِكَ المصابة

أعرفُ كم نورسًا فرَّ منكَ

وكم نرجسةً خبَّأتْ عطرَهَا عنكَ

فتعالَ إلى كهفِنَا الذي تعرفُ

وقلْ ما يقولُهُ رجلٌ في التماعةِ السُّكْرِ الإلهيِّ لامرأتِهِ:

«دَثِّرِيْني»

لأرى اسمِيَ من جديد

بأحرفِ أربعةٍ واضحة

دَثِّرِيْني، فقلبُكِ أصغرُ من قلبِ عصفور

وأوسعُ من نبعٍ على رأسِ الجبل

خُذيني إليكِ مرَّةً واحدة

لأعرفَ أن الجهاتِ أربع

وأن الفصولَ أربعة

وأساساتِ بيتِ السَّكَنِ أربع

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأن للقلبِ حجراتٍ أربع، تملئينَها وحدَكِ.

وأنا لن أقولَ شيئًا، يا حبيبي

سأفتحُ ذراعَيَّ لتهربَ إليَّ

تهربَ وقد حملتَ من كلِّ نوعٍ زوجان

من كلِّ نوعٍ أحببناه

ستُبحِرُ بكَ سفينتي فيما يخرجُ الجنُّ من باطنِ الأرض

بسهامٍ من نارٍ يرمونا

يرمقُنا الرَّبُّ بنظرةِ الشَّكِّ من علیائِهِ

ونُبحِرُ

وسنأخذُ حصَّتَنا كاملةً من اللعنات

ستُسبِّحُ الملائكةُ أن أُحرِقُوا السفينةَ ومَنْ عليها.

أمِّي تخرجُ مُفتِّشةً العتباتِ كلَّها، البيوتَ كلَّها، عن بنتٍ اختفتْ في ليلةٍ من ليالي آذار.

فيما أمُّكَ تُشعِلُ شموعًا للأولياء، وتبكي كأيَّةِ فلَّاحةٍ أضاعتْ ابنَهَا في العاصمةِ المزدحمةِ

سأمسحُ جروحَكَ

وأضعُ يدي على ظهرِكَ. هناكَ بين الفقرةِ الرابعةِ والخامسةِ، حيثُ أكلَكَ ألمُ الديسكِ لسنواتٍ

وسنوات

وتألّمتْ معكَ، يا ألمَ كمنجاتي كلِّها

سأضعُ يدي وأفاوضُكَ، يا ألمُ، أُساومُكَ كي تغادرَ جسدَ حبيبي

أُساومُكَ على جسدي، على غلّةِ القمحِ في حقلي، على حصّتي من الغزلانِ البرّيّة

وعلى مقعدي في جنّةِ الرّبِّ البعيدة، وعلى العشبِ الطّريِّ يزحفُ تحتَ أقدامِ الغابة.

سأُقبِّلُكَ وأُساومُكَ، يا ألمُ، كي تخرجَ من جسدِ حبيبي

فأُدَثِّرَهُ كما يجبُ، وأنتظرَ نبوءَتنا القادمة

من نظرةٍ، أَلِفْتُها في عَينَيْه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حسنًا، يا حياة

صارَ لي حبيبٌ تحتَ التراب

أستطيعُ الآن طردَ كلبِ جارتي، والغشَّ في مكيالِ الحبوبِ التي أبيعُها

أستطيعُ أن أصرخَ في وجهِ جابي الكهرباءِ والماء

أستطيعُ أن أعيشَ عدوانيَّتي بأريحيَّة غيرِ مسبوقة

هذا الحقدُ الذي أملكُهُ للمتفذلكين والمتحرِّشين والمبتسمين ابتسامةً صفراءَ على الدوامِ

الغضبُ على صديقتِي التي تسكتُ على كلِّ ما يصيبُها من كوارث

الرأسماليةُ التي تنهشُ جيوبي ووجوهَ الفقراء

دعاياتُ مستحضراتِ التجميلِ بفتياتِها الشقراوات

السَّيَّاراتُ التي ترشقُني بمياهٍ وطينٍ في الشتاء

نشراتُ الأخبارِ الكاذبة

وارتفاعُ أسعارِ البنزين

نهاياتُ الحُبِّ السعيدةُ في الأفلامِ، وارتفاعُ نسبةِ انتحارِ المراهقين

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

موتُ العصافيرِ في الغاباتِ الاستوائية

وأحداثٌ كثيرةٌ غامضةٌ، لم أتحدَّثْ عنها

كلُّها الآن ستشفعُ لي عند الرَّبِّ عندما ألعنُهُ أكثرَ من ثلاثِ مرَّاتٍ في ألنهار

شفاعةَ أنْ لي حبيبٌ، يا ربّ

قد صارَ تحتَ التراب.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بيدٍ طيِّبةٍ تتلمَّسُ الخيبةُ رأسي

أفتحُ فمي

فلا يخرجُ شيء

لا ضفادعَ ولا فقاعاتٍ ملوَّنةٍ

لا طعمَ لقُبلةِ حُبٍّ

ولا حتَّى كلماتْ

تصطادُ الكاميرا حركةَ فمِي بحِرَفِيَّةِ صانِعِ الزُّجاجِ

ينفخُ في المادَّةِ اللَّزِجةِ

يَهِبُ هَواءَهُ

فيخلقُ عالمًا مثاليًّا يهدِّدُهُ الكَسرُ في كلِّ لحظةٍ من وجودِهِ.

أمُدُّ يدي

فلا يَخرجُ منها شيءٌ

لا الأصابعُ منحوتةٌ، ولا النقودُ تَهوي على الأرض

ليتراكضَ أطفالُ العائلةِ لالتقاطِها

وشراءِ سُكَّرٍ يكفي لمرارةِ الأيّامِ

أفتحُ عينَيَّ، فلا أرى شيئًا

لا وجهَكَ يُضيءُ الزاويةَ المُعتمةَ من غرفةِ النومِ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولا سكّينَ الوَخدةِ تتراقصُ يمينًا وشمالًا

وهي تُهدِّدُ الفتاةَ الصّغيرةَ بتقطيعِ فُستانِها الأحمر

أميلُ برأسي، أُحرِّكُهُ، أهزُّهُ

لا يكادُ يَحتملُ

لا يكادُ يحسُّ

فارغًا من كلِّ صورةٍ أو ذكرى

من كلِّ أُغنيَّةٍ أو رغبةٍ بالغناء

وعندما انهارَ جسدي بكاملِهِ فوقَ السَّريرِ

وحَدَها الخيبةُ كانتْ معي

وكانتْ يدُها السّخيّةُ تتلمَّسُ رأسي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بيتٌ يطيرُ

يمرُّ الفجرُ بعرباتِهِ الوردية

وشجرةُ الغارديني تملأ كؤوسَها بالندى

ترابٌ أحمر

رطوبة

وعصفورٌ مشاكسٌ يُصرُّ على إيقاظِ العالمِ من نومه

يدٌ تفتحُ الشّبّاكَ، فتعبقُ رائحةُ القهوةِ الصّباحيّة

القهوةُ تُنصِّبُ البيتَ أبًا لفجرِ الحديقة

تُعيدُ المجدَ للجدرانِ والراديو المعلَّقِ على طرفِ مائدةِ المطبخ

وللوسائدِ المُحُوَكَةِ بعنايةٍ وصبر

مُلقاةً على الأرضِ وحيدةً وصامتة.

القهوةُ تُحوِّلُ البيتَ إلى عربةٍ تصعدُ باتِّجاهِ الشمس

الحرارةُ خفيفةٌ، ولا صوتَ للعجلات

لا شيءَ يُعكِّرُ صفوَ هذا الصباح

كلُّ شيءٍ في مكانِهِ، حيثُ يجبُ أن يكون

وحيثُ يجبُ أن يذبل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويفنى

يصعدُ البيتَ، تطيرُ العربة

والترابُ أحمر

ورائحةُ رطوبةٍ خفيفةٍ تهبُّ مع الهواء

البيوتُ القريبةُ تُراقبُ وتندهش

وبعضُها يُثرثرُ غضبًا

هذا البيتُ مُربِكٌ في طيرانِهِ كلّ صباح

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ضوءٌ خافتٌ

بقَدَمَيْن حافيَتَيْن مشيتُ الطريقَ المُؤدِّيةَ إليكَ

بقَدَمَيْن صغيرَتَيْن

لا تُشبهان أقدامَ النساءِ في هذه البقعةِ الجغرافيةِ من العالم

بقَدَمَيْن وحيدَتَيْن عاشقَتَيْن

قرَّرتُ المضي إليكَ

كنتُ مريضةً بالحُبِّ

وببلادٍ طردتْني من مُدُنِها وشواطئِها كلِّها

وبعصفورٍ مشاكسٍ أُرجعُهُ كلّ مرَّةٍ إلى قفصِ الروح

كنتُ محمَّلةً بورقِ تبغٍ كثيرٍ، وأغانٍ لم يعد يسمعُها أحد

قَدَمَايَ مشقَّقتان

ومن تلك الشقوقِ المتعَبةِ كان يلمعُ نور

لشيءٍ نعرفُ طعمَهُ جيِّدًا

واسمُهُ الحبُّ

امرأةً مسكونةً بالحُبِّ كنتُ

امرأةً مشت بقَدَمَيها العاريَتَين فوقَ خرائطَ لا

تعترفُ بمعجزة

وتخافُ أن ترجعَ إلى القبيلةِ هناك

حيثُ تلمعُ عيونُ الرجالِ بثأر

وتنتظرُها

أربعون جَلْدَة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحربُ تُشعِلُ سيجارَتَها

كنتُ سأُحبُّكَ أكثرَ في زمنِ الحرب

في اشتعالِ القذائفِ وقصفِ الطائرات

فرصتي الذّهبيةُ لأهمسَ لكَ بسرِّ شجرةِ الليمونِ في طرفِ الحديقة

وبألوانِ ملابسي الدّاخليّة

برُهَابي من العَتْمَة في لحظتها الأولى

وانغماسي معها ببطءٍ حتَّى تصيرَ كينونتي

لم أكنْ سوى عَتْمَةٍ تنتظرُ حربًا حتَّى تحبُّكَ

حتَّى ترتجفَ أصابعَها كأيِّ بنتٍ هشَّةٍ أمامَ الحبيب

تُغمِضُ عينَيْها مُتخيِّلةً طعمَ شَفَتَيْكَ

الحربُ أمِّي

أحتاجُها حتَّى أفتحَ أمامكَ أبوابَ الكلام

أو أبوابَ الصمت

هناك حيثُ أُمسكُكَ من يدِكَ، وأدلُّكَ على دروبِنا التي مشيناها كلِّها في حياةٍ سابقة

وأُقرِّبُ أنفَكَ من عنقي حتَّى تستدلَّ بالرائحة

كأيِّ ذئبٍ على أُنثاكَ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سأخجلُ من كثيرٍ من تفاصيلي، لو لم تكن الحرب

لن أُخبركَ بقصَّةِ أسناني الأماميةِ التي انكسرتْ بعد مغامرةٍ لهوٍ غبيةٍ مع ابنِ الجيران

من جسدي الممتلئِ الذي لم أُحبّهُ يومًا

عن رغبتي بقَتْلِ أمِّي

وعن الأورتيكِ اللذيذِ الذي أفكِّرُ به بقُربِكَ

وعن آلافِ القبلاتِ التي أغرقتُكَ بها في خيالي

وأنتَ تقرأُ لي مقدّمتَكَ للماجستير، واصطنعتُ أنني أسمعُ بكلِّ جدِّيَّةٍ ما تقول.

تأتي الحربُ ومعها دمٌ كثير

الأحمرُ القاني الذي تُحبُّه. والذي اشتريتُ فستانًا بلونِهِ في خصامِنا الأخير. وكأنني أعلمُ أننا سنرجعُ بدافعٍ من الأحمر، سنعودُ ونُريقُ دماءً جديدةً لأجلِ هذا الحُبِّ.

تفاصيلُ مخجلةٌ للغاية، تدفعُها الحربُ كلُّها للركضِ نحو السطح

سطحِكِ أو سطحي لا يهمّ

في لحظةِ القصفِ هذه لا نُفرِّق مَنْ أنا ومَنْ أنتَ.

لا بدَّ من حربٍ تُقرِّبُنا، تدفعُنا بقوَّتها نحو الأرض

تنعفُ الترابَ على رأسَينا الصغيرَين

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لنعودَ في لحظةٍ معلَّقَيْن إلى أعمدةِ الزمن.

إلى قصَّتِنا الأولى، نقرؤُها بصوتٍ مسموع.

بينما يذهبُ الكونُ بكاملِ عدَّتِهِ للحرب، سننشغلُ نحنُ بروايةِ قصَّتِنا

سنكتشفُ البدايةَ، ونُرتِّبُ الأحداثَ، ونصعدُ بها نحو القمَّة

ثمَّ شيئًا فشيئًا

ستكونُ النهايةُ قادمة

ككلِّ قصَّةٍ مكتوبةٍ بحبكةٍ جيِّدة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الصافرةُ

في البلدِ الذي عشتُ فيه طُفُولتي، لم تكن هناك محطّاتٌ للقطار

لا صافرة

ولا صوتُ عجلاتٍ يُؤجِّجُ الحنين

ولا وجوهٌ تشربُ شوقَها في وجهِ الحبيبِ القادمِ من البوَّابات

ومع هذا كلِّه

ومنذُ أن كنتُ طفلة

انتظرتُكَ.

رجاء غانم: شاعرة فلسطينية، ولدت في دمشق. نشرت قصائدها في الصحف العربية والفلسطينية منذ العام ١٩٩٦. أصدرت مجموعتها الشعرية الأولى بعنوان "سيّدة البياض" في حيفا عام ٢٠١٤. شاركت في كتاب "ديوان الأمومة" الصادر عن في القاهرة ٢٠١٧. كما شاركت في العديد من مهرجانات الشعر في فلسطين والعالم العربي والعالم.

تعمل في مجال توجيه المجموعات وورشات الكتابة الإبداعية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

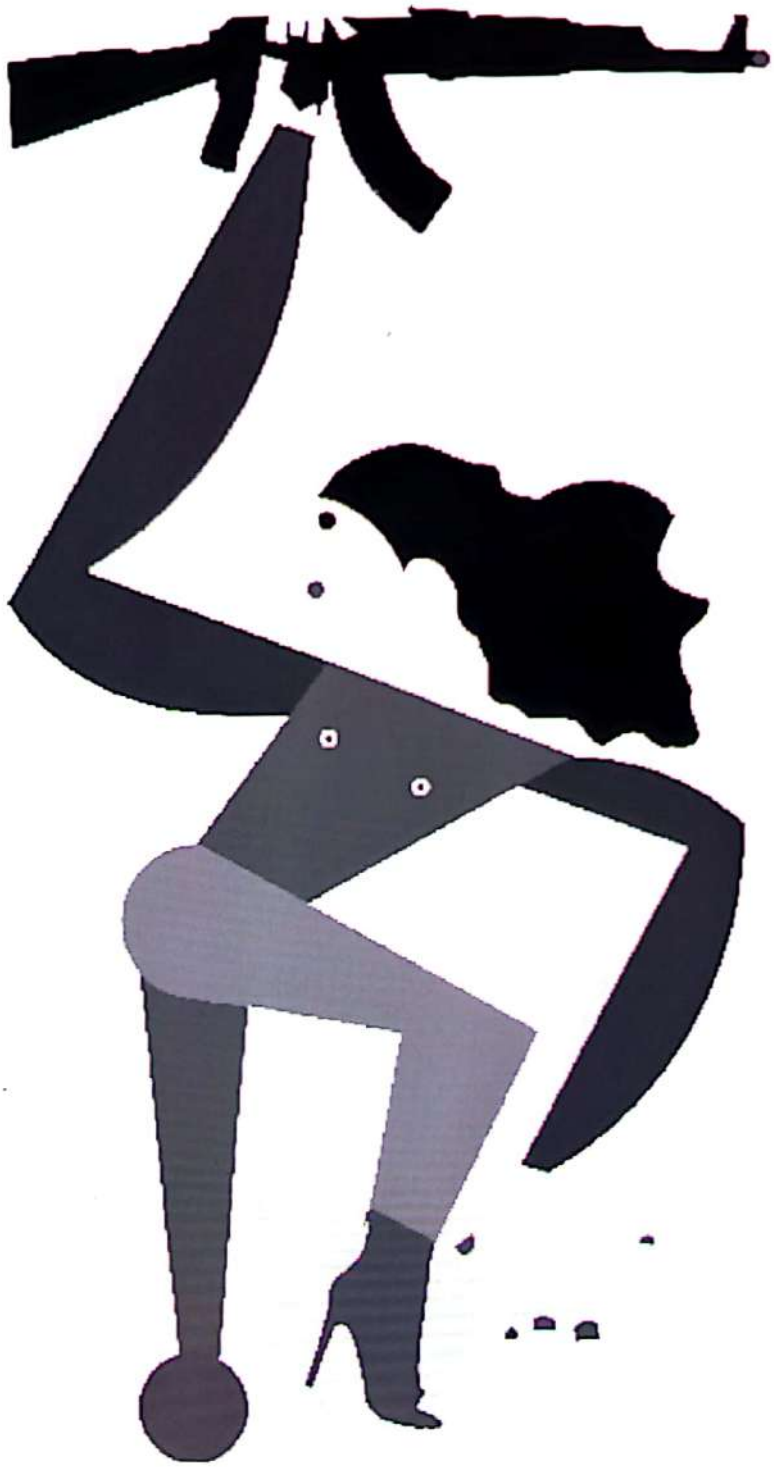

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner